معلقات العرب
دراسة في أسس الاختيار

الدكتور محمود عبد الله الجادر *

قد لا يعنينا، في حدود هدف البحث، أن نخوض فيما خاض فيه القدماء والمحدثون من مسألة تحديد زمن اختيار المعلقات وإرجاع هذا الزمن الى عصر ما قبل الإسلام أو الى العصر الأموي، ثم قد لا يعنينا كثيرا أن نتابع الاختلاف على تسمية المعلقات وعددها وأسماء أصحابها وما دار في إطار هذا الاختلاف من اجتهادات، فتلك أمور تابعها باحثون معاصرون تناولوا كل ما قاله القدماء وعالجوا أدق التفاصيل، ثم كان لهم اجتهاداتهم المتباينة في التأمل والقبول والرفض والحكم[١]، بيد أننا قد نحتاج الى استحضار بعض مرتكزات هذه النصوص والدراسات لننطلق منها الى إقامة الحقائق العلمية التي يطمح البحث الى رصدها دون الدخول في مناقشات لا تخدم ذلك الطموح.

وبوسعنا أن نرصد في نصوص القدماء اتجاها متشبثا بالمنطلق القائل بأن المعلقات قصائد علقت على أستار الكعبة، وهو اتجاه يستفاد منه أن اختيارها جرى في العصر الجاهلي، ومن أصحاب هذا الاتجاه ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ)[٢] وابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)[٣] وابن رشيق (ت ٤٥٦هـ)[٤]، وابن خلدون (ت٨٠٨هـ)[٥] والبغدادي (ت١٠٩٢هـ)[٦]، على أن السيوطي يروي أن معاوية بن أبي سفيان ذكر أن قصيدتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة كانتا معلقتين في الكعبة دهرا[٧] فان صحت الرواية كان لنا أن نقرر إن النص اقدم إشارة الى مسألة التعليق على الإطلاق.

---

* أستاذ اللغة العربية في قسم اللغة العربية في كلية الآداب – جامعة بغداد.

على أن ثمة اتجاها ثانيا أنكر أصحابه مسألة التعليق الجاهلية برمتها، فأبن النحاس (ت٣٣٨هـ) يقرر أن حماد الراوية لما رأى زهد الناس بالشعر جمع السبع وحضهم عليها فقال لهم هذه هي المشهورات[٨] وعلى هذا جرى علماء آخرون كأبن الانباري (ت٥٧٧هـ)[٩] وياقوت الرومي (ت٦٢٦هـ)[١٠].

وفي إطار رفض مسألة التعليق ذهب علماء آخرون الى أن لغير حماد يدا في الاختيار، فالبغدادي الذي نقل آراء سابقيه في مسألة التعليق يعود فيقول : [وروي إن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار سماها المعلقات[١١] ثم يذكر في موضع آخر نقلا عن ابن الكلبي أن عبد الملك بن مروان طرح شعر أربعة من أصحاب المعلقات وأثبت مكانهم أربعة[١٢] ولكنه لا يذكر ما اذا كان الطرح من المعلقات التي علقت أم من التي أمر بعض أمراء بني أمية باختيارها].

وبين الاتجاهين المتناقضين يطالعنا نص غريب أورده ابن النحاس وهو يستعرض ما قيل من آراء بشأن المعلقات اذ قال : [ما اختلفوا في جميع هذه القصائد السبع فقيل إن العرب كان أكثرها يجتمع بعكاظ ويتناشدون الأشعار فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوها وأثبتوها في خزانتي][١٣].

وقد رافق الخلاف على زمن اختيار المعلقات وطبيعة عملية الاختيار خلاف آخر على تسميتها حتى تداول القدماء سبعة أسماء هي : (المذهبات والطوال والمعلقات، والسموط والقصائد والسبعيات والجاهليات)[١٤].

أما عدد المعلقات فيكاد القدماء والمحدثون يتفقون على الرقم (٧) لم يذكر اقل من ذلك الا محقق شرح المعلقات السبع للزوزني الذي افترض إن اصل المعلقات أربع معتمدا على تكرر الرقم في نصوص نقدية قديمة وعلى ورود الرقم في نص البغدادي المنقول عن ابن الكلبي الذي ذكر إن عبد الملك طرح شعر أربعة وأثبت أربعة، بيد أن الباحث نفسه يعترف أن رأيه (فرضية) صرف[١٥] وهي فرضية نستغني عن مناقشتها لتهافتها ومخالفتها المتواتر من النصوص والمروية من المعلقات ولعجز صاحبها نفسه عن تعيين المعلقات الأربع من النصوص المروية للمعلقات وشروحها.

على أن ابن خلدون يضيف الى الأسماء المتداولة لأصحاب المعلقات اسما لم يرد في أي نص أو رواية للمعلقات فهو اذ يتحدث عن تعليق الشعراء قصائدهم على أركان البيت الحرام يقول : [كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والأعشى وغيرهم][١٦]، فأسم علقمة بن عبدة غير وارد في أية رواية من روايات المعلقات، فأن قبلنا النص كان علقمة ثامن السبعة عند من روى سبع معلقات وعاشر التسعة عند من روى تسعا وحادي عشر العشرة عند من روى عشرا، بيد أننا نتوقف عن قبول النص الذي بدا ابن خلدون فيه بعيدا عن الرقة بدلالة قوله في آخره (وغيرهم) فهذه مفردة تومئ الى عدم التدقيق في اقل تقدير.

ان روايات المعلقات وشروحها هي المعين الذي ينبغي ان نستقي منه حقيقة عدد المعلقات وأسماء أصحابها، وقد سبقنا الى إحصاء الروايات والشروح ومختصرات الشروح وأجزائها باحثون معاصرون فذكر بعضهم ثلاثين شرحا[١٧] واستقصى بعضهم فذكر خمسين[١٨] على ان ما خلفته يد الأيام من هذه الشروح هو النزر القليل ومن بين هذا القليل عدد اقل من الشروح الكاملة التي سنعتمد عليها وهي :

١- شرح القصائد السبع الجاهليات لابن الانباري (ت٣٢٨هـ).

٢- السموط (ضمن جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي)، أواخر القرن الثالث الهجري.

٣- شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس (ت٣٣٨).

٤- شرح المعلقات السبع للزوزني (ت٤٨٦هـ).

٥- شرح القصائد العشر للتبريزي (ت٥٠٢هـ).

هذا فضلا عما تبقى من شرح القصائد السبع المشهورات لابن كيسان (ت ٢٩٩هـ). وكل هذه الشروح تتفق على ان أصل المعلقات سبع حتى تلك التي شرحت اكثر من سبع، فأبو جعفر بن النحاس الذي يشرح تسع قصائد يقول بعد شرح القصيدة السابعة : (فهذه آخر السبع المشهورات على ما رأيت اكثر أهل اللغة يذهب اليه منهم أبو الحسن بن كيسان، وليس لنا ان نعترض في هذا... وقد

رأيت من يذهب الى ان قصيدة الأعشى وهي (ودع هريرة) وقصيدة النابغة وهي (يا دار ميّة) من القصائد....)[١٩].

ويعترف التبريزي بأن شرحه للقصائد العشر يضم شرح (القصائد السبع مع القصيدتين اللتين أضافهما اليها أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحوي [ابن النحاس] قصيدة النابغة الذبياني الدالية وقصيدة الأعشى اللامية، وقصيدة عبيد بن الأبرص البائية)[٢٠].

وعلى هذا فالشارحان الوحيدان اللذان شرحا اكثر من سبع قصائد يعترفان بأن أصل القصائد هو سبع وان الزيادة من اجتهاد كل منهما.

على ان الاتفاق الضمني على العدد والاختلاف التطبيقي عليه يخفي وراءه خلافا على تحديد أسماء أصحاب المعلقات وتحديد قصائدهم المختارة، وقد رأينا ان ندرج ما ورد في الشروح من أسماء الشعراء وأوائل قصائدهم في سرر تتوالى فيه الأسماء بحسب تسلسل ورودها في كل شرح لنتأمل وجوه اللقاء والخلاف، ونقرر بعض الحقائق التي يمكن استنباطها من المسرد.

وبوسعنا ان نستنبط من المسرد ومن الرجوع الى النصوص الشعرية نفسها جملة من الحقائق أهمها :

١- ان ثمة اتفاقا على شعراء واختلافا على شعراء.

٢- أما الشعراء الذين اتفقت الشروح كلها على أسمائهم وعلى قصائدهم فهم خمسة: امرؤ القيس/ قفا نبك، وطرفة/ لخولة أطلال، وزهير/ أمن أم أوفى، وعمرو بن كلثوم/ الا هبي، ولبيد/ عفت الديار.

٣- وأما الشعراء المختلف عليهم فهم خمسة أيضا : عنترة والحارث بن حلزة والأعشى والنابغة وعبيد بن الأبرص. أما عنترة والحارث فقد ذكرهما شراح وأسقطها شراح ولكن الشراح الذين ذكروهما لم يختلفوا على ان قصيدتيهما هما : (هل غادر الشعراء) و (آذنتنا ببينها أسماء). وأما النابغة والأعشى فقد ذكرهما شراح وأسقطهما شراح أيضا ولكن الشراح الذين ذكروهما اختلفوا على رواية قصيدتيهما، فقد روى القرشي لأولهما (عوجوا مخيبو النعم) ولثانيهما (ما بكاء الكبير بالأطلال) ولكن ابن النحاس والتبريزي رويا لأولهما

(يا دار ميّة) ولثانيهما (ودع هريرة)، فضلا عن ان المسرد يشير الى انفراد التبريزي بذكر عبيد بن الأبرص وقصيدته (اقفر من أهله ملحوب).

وهكذا نرى ان الخلاف انتهى الى ان يترجح عدد أصحاب المعلقات بين السبعة والعشرة، بيد ان الخلاف على قصيدتي النابغة والأعشى جعل عدد القصائد يترجح بين السبع والاثنتي عشرة.

الشرح وصاحبه	الشعراء وأوائل قصائدهم وتسلسلهم
شرح القصائد السبع الطوال لابن الانباري	امرؤ القيس (قفا نبك) طرفة (لخولة أطلال) زهير (أمن لم أوفى) عنترة (هل غادر) عمرو بن كلثوم (الاهبي) الحارث بن حلزة (آذنتنا بينها) لبيد (عفت الديار)
جمهرة أشعار العرب (السموط) لأبي زيد القرشي	امرؤ القيس (قفا نبك) زهير (أمن لم أوفى) النابغة (عوجوا فحيوا) الأعشى (ما بكاء الكبير) لبيد (عفت الديار) عمرو بن كلثوم (الاهبي) طرفة (لخولة أطلال)
شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس	امرؤ القيس (قفا نبك) طرفة (لخولة أطلال) زهير (أمن لم أوفى) لبيد (عفت الديار) عنترة (هل غادر) الحارث بن حلزة (آذنتنا بينها) عمرو بن كلثوم (الاهبي) الأعشى (ودع هريرة) النابغة (يا دار ميّة)
شرح المعلقات السبع للزوزني	امرؤ القيس (قفا نبك) طرفة (لخولة أطلال) زهير (أمن لم أوفى) لبيد (عفت الديار) عمرو بن كلثوم (الاهبي) عنترة (هل غادر) الحارث بن حلزة (آذنتنا بينها)
شرح المعلقات العشر للتبريزي	امرؤ القيس (قفا نبك) طرفة (لخولة أطلال) زهير (أمن لم أوفى) لبيد (عفت الديار) عمرو بن كلثوم (الاهبي) عنترة (هل غادر) الحارث بن حلزة (آذنتنا بينها) الأعشى (ودع هريرة) النابغة (يا دار ميّة) عبيد بن الأبرص (اقفر من أهله)

٤- ان الخلاف على الأسماء بدأ بالخلاف بين الروايتين الكوفية (رواية ابن الانباري) والبصرية (رواية القرشي عن ابن عبيدة) فالرواية الكوفية جعلت

عنترة والحارث بن حلزة ضمن السبعة بينما استبعدتهما الرواية البصرية وأثبتت النابغة والأعشى مكانهما.

٥- لم يقتصر الخلاف بين الروايتين الكوفية والبصرية على أسماء الشعراء، وإنما امتد الى ترتيب أسمائهم ضمن كل من الروايتين، وهو خلاف امتد الى روايات الشروح فيما بعد.

والذي نذهب اليه ان خروج البصريين على الأصل الكوفي في تحديد أسماء أصحاب المعلقات وترتيب ذكرهم متأت من طبيعة نظر البصريين الى الشعراء وتقويم شاعريتهم وذلك ما نستطيع ان نكتشفه بيسر عند إلقاء نظرة على مواضع الشعراء الذين رويت لهم معلقات في نظر ثلاثة من علماء البصرة عنوا بتحديد المواضع الفنية للشعراء هم الأصمعي[٢١] وأبو عبيدة[٢٢] وابن سلام[٢٣] وسندرج أسماء الشعراء الذين رويت لهم قصائد في أوفى الشروح وهو شرح التبريزي الذي روى لعشرة شعراء :

اسم الشاعر	موضعه عند الأصمعي	موضعه عند أبي عبيدة	موضعه عند ابن سلام
امرؤ القيس	أولهم كلهم في الجودة	أول الطبقة الأولى	أول الطبقة الأولى
طرفة بن العبد	لا ذكر له	أول الطبقة الثانية	أول الطبقة الرابعة
زهير بن أبي سلمى	ما يصلح زهير ان يكون أجيرا للنابغة	ثاني الطبقة الأولى	ثالث الطبقة الأولى
عنترة بن شداد	خفاف وعنترة والزبرقان اشعر الفرسان	سادس الطبقة الثالثة	ثالث الطبقة السادسة
لبيد بن ربيعة	ليس بفحل	لا ذكر له	رابع الطبقة الثالثة
عمرو بن كلثوم	ليس بفحل	ثالث الطبقة الثانية	أول الطبقة السادسة
الحارث بن حلزة	فحل	ثاني الطبقة الثانية	ثاني الطبقة السادسة
الأعشى	ليس بفحل	رابع الطبقة الأولى	سابع الطبقة الأولى
النابغة الذبياني	أول الفحول	ثالث الطبقة الأولى	ثاني الطبقة الأولى
عبيد بن الأبرص	لا ذكر له	لا ذكر له	ثاني الطبقة الرابعة

وواضح ان إغفال الرواية الكوفية، رواية ابن الانباري، للنابغة والأعشى، اللذين يمثلان موقعا متقدما عند علماء البصرة، كما يقرر المسرد، لم تَرُق للبصريين، وهكذا أسقطت الرواية البصرية، رواية الجمهرة، شاعرين من الرواية الكوفية ممن لا يمثل في نظر البصريين مواقع متقدمة وهما عنترة والحارث بن حلزة وأحلت النابغة والأعشى محلهما.

ويرجح هذا الظن الذي تظنه ان الشراح المتأخرين الذين أرادوا أن يجمعوا بين الروايتين الكوفية والبصرية، ابن النحاس والتبريزي، لم يتمسكوا بقصيدتي النابغة والأعشى اللتين رواهما القرشي في الجمهرة بل رووا قصيدتين أخريين لهما على انهما المعلقتان وذلك خلاف يبعث على ظن مشروع بأن موضع الشاعرين بين أصحاب المعلقات من القلق بحيث لا يضاهي مواضع الشعراء الذين اتفقت الشروح برمتها على رواية قصائدهم بأعيانها، فضلا عن ان هذا الخلاف والخلافات الأخرى في أسماء الشعراء تبعث على ظن مشروع آخر وهو استبعاد مسألة التعليق في الكعبة، فلو ان التعليق وقع فعلا لما وقع هذا الخلاف على الأسماء والقصائد والعدد والترتيب.

ان تأمل جملة الحقائق المستنبطة من المسرد يقرر ان اصل المعلقات هو ما أوردته الرواية الكوفية التي ينبغي ان تقوم عليها الدراسة، ولكن هذه القناعة لا تلغي قناعة أخرى وهي ان الخروج على الرواية الكوفية وقع على أيدي علماء لم يغيروا في الأصل ولم يضيفوا اليه الا ما رأوا انه جدير بان يقع في إطاره ويرقى الى مستواه، بل انهم ربما فعلوا ذلك ليكملوا نقصا رأوه لاحقا بالأصل لا نستثني من ذلك أية رواية ابتداء برواية القرشي البصرية وانتهاء برواية التبريزي التي انفردت برواية عشر معلقات.

ان مجموع الروايات والشروح يمثل في قناعتنا الحدود العريضة التي انتهت اليها جملة اجتهادات القدماء في عملية اختيار افضل نصوص الشعر الجاهلي واقدرها على تمثيل هذا التراث الذي تشعبت موارده وتعددت رواياته وتضمنت حصيلته حتى غدا اختيار سبعة نصوص منه أو تسعة أو عشرة عملية لا تتأتى الا لعبقرية نقدية أو عبقريات لا ينبغي ان يثلب هذا الخلاف بين اجتهاداتها

من الحصانة العامة للنتائج التي انتهت اليها. لنا إذن ان نعود الى جملة روايات المعلقات لنستنبط المواصفات التي افترضها الجهد النقدي أو كانت هاجسه الخفي في عملية اختيار الشعراء والنصوص.

ومع إننا نفتقر الى إشارات تراثية محددة توضح المواصفات التي تقف وراء الاختيار فان لنا ان نعتمد القرائن التي يمكن استنباطها من الاختيار نفسه مع الانتفاع ببعض الإشارات الموحية بحقائق تمنح الاستنباط اطمئنانه الى ما انتهى اليه من الحقائق التي ندرجها فيما يأتي:

١- ان المعلقات من طوال قصائد العصر الجاهلي، بل انها من طوال قصائد أصحابها إن لم تكن أطولها ولكي يتضح ذلك رأينا أن ندرج أولا أعداد أبيات المعلقات بحسب الروايات المختلفة التي بين أيدينا :

اسم صاحب المعلقة	عدد الأبيات عند ابن الانباري	عدد الأبيات عند القرشي (الجمهرة)	عدد الأبيات عند ابن النحاس	عدد الأبيات عند الزوزني	عدد الأبيات عند التبريزي
امرؤ القيس	٨٢	٩٠	٨٣	٧٩	٨٢
طرفة ابن العبد	١٠٣	١٢٠	١٠٤	١٠٢	١٠٥
زهير بن أبي سلمى	٥٩	٦٥	٥٩	٦٣	٥٩
عنترة بن شداد	٧٩	١١٢ (ضمن الجمهرات)	٨٣	٧٥	٨٠
عمرو بن كلثوم	٩٤	١٢١	٩٣	١٠١	٩٦
الحارث بن حلزة	٨٤	ـــــ	٨٥	٨٢	٨٥
لبيد بن ربيعة	٨٨	٨٩	٨٩	٨٨	٨٩
النابغة الذبياني	ـــــ	٦٣ (عوجوا فحيوا)	٥٠ (يا دار مية)	ـــــ	٥٠ (يا دار مية)
الأعشى	ـــــ	١٠٠ (ما بكاء الكبير)	٦٤ (ودع هريرة)	ـــــ	٦٤ (ودع هريرة)
عبيد بن الأبرص	ـــــ	٤٣ (ضمن المجمهرات)	ـــــ	ـــــ	٤٨

ثم رأينا ان نرجع الى دواوين أصحاب المعلقات لنستخرج من كل منها عدد أبيات المعلقة، ثم عدد أبيات أطول قصيدة سوى المعلقة، وندرج ذلك في المسرد الآتي :

اسم صاحب المعلقة	عدد أبيات المعلقة	موضعها من الديوان	عدد أبيات أطول قصيدة	موضعها من الديوان	طبعة الديوان
امرؤ القيس	٧٧	٨-٢٦	٥٥	٤١-٥٥	تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم مصر ١٩٦٩م
طرفة ابن العبد	١٠٤	١٩-٤١	٧٦	٥٠-٥٩	طبعة دار صادر بيروت ١٩٦١م
زهير بن أبي سلمى	٦٠	٤-٣٢	٦٣	٥٦-٨٥	طبعة دار الكتب مصر ١٩٤٤م
عنترة بن شداد	٨٥	١٨٢-٢٢٢	٣١	٢٥٣-٢٦٢	تحقيق محمد سعيد مولوي مصر ١٩٧٠م
عمرو بن كلثوم		ليست في الديوان	٩	٤	تحقيق كرنكر مجلة المشرق بيروت ١٩٢٢م
الحارث بن حلزة	٨٥	٩-١٦	١٤	١٨-١٩	تحقيق هاشم الطعان بغداد ١٩٦٩م
لبيد بن ربيعة	٨٨	١٦٣-١٨٨	٩٢	١١٢-١٢٢	طبعة دار صادر بيروت ١٩٦٦م
النابغة الذبياني (عوجوا فحيوا)	٥٧	٢٠٢-٢٠٤[٢٤]	٤٨	٢١٨-٢٢٣	تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم مصر ١٩٧م
(يا دار مية)	٤٩	١٤-٢٨			

اسم صاحب المعلقة	عدد أبيات المعلقة	موضعها من الديوان	عدد أبيات أطول قصيدة	موضعها من الديوان	طبعة الديوان
الأعشى (ما بكاء الكبير)	٧٥	٣-١٣	٨٣	١٥-٢٧	تحقيق د. محمد محمد حسن مصر ١٩٥٠
(ودع هريرة)	٦٦	٥٥-٦٣			
عبيد بن الأبرص	٥٠	١٠-٢٠	٣٩	١٠٥-١١٢	تحقيق د. حسين نصار مصر ١٩٥٧م

وهكذا يتضح ان طول النص لم يكن غائبا عن المواصفات المفترضة لاختياره ضمن المعلقات، وتلك حقيقة يشفع لها ان عددا من شروح المعلقات ورد تحت عنوان (الطوال) كشرح ابن كيسان، وشرح ابن الانباري، وان هذا الوصف ورد في نصوص قديمة أشرنا اليها آنفا.

٢- ان المعلقات برمتها نصوص شعرية متعددة الموضوعات، فليس بينها، على اختلاف رواياتها، قصيدة ذات موضوع واحد، وليس بينها مقطوعة ولا ارجوزة، وتلك حقيقة ذات دلالة على قناعة الاختيار بأن بنية القصيدة المتعددة الموضوعات هي النموذج الذي ينبغي ان يتقدم على نماذج البنى الأخرى الا اذا تراجع المعيار الفني أمام ضغط معيار موضوعي أو فكري أو أي موضوع سواه.

ويشير استقراء بنى المعلقات الى حقيقة لا نريد استباقها قبل أن نتأمل تتابع الموضوعات في كل معلقة كما وردت في ديوان صاحبها[٢٥] وعدد أبيات كل موضوع.

١- معلقة امرؤ القيس :

١-٨ طلل / ٩-٤٣ قصص غزلية / ٤٤-٤٨ ليل المأساة / ٤٩-٦٦ رحلة صيد بالفرس/ ٦٧-٧٧ وصف المطر.

٢- معلقة طرفة بن العبد :

١-٢ طلل / ٣-٥ ظعن / ٦-١٠ غزل / ١١-٤١ رحلة على ناقة / ٤٢-٦٣ فخر فردي / ٦٤-٦٨ حكمة في الحياة والموت / ٦٩-٨٢ شكوى من ظلم أبناء العم / ٨٤-١٠٢ فخر فردي / ١٠٢-١٠٤ حكمة.

٣- معلقة زهير بن أبي سلمى :

١-٦ طلل / ٧-١٥ ظعن / ١٦-٢٥ مديح هرم بن سنان والحارث بن عوف/ ٢٦-٣٣ نصح الأحلاف وتقبيح الحرب / ٣٤-٤٧ قصة الحصين بن ضمضم ومديح بني سرة / ٣٨-٦٠ حكمة.

٤- معلقة عنترة :

١-٩ طلل / ١٠-١٣ نسيب / ١٤-١٦ ظعن / ١٧-٢٦ غزل وفروسية / ٢٧-٢٨ رحلة على ناقة / ٢٩-٣٢ تشبيه الناقة بظليم / ٣٣-٣٩ عودة الى الناقة / ٤٠-٤٢ فخر فروسي / ٤٣-٤٦ فخر بشرب الخمر / ٤٧-٦٣ فخر فروسي / ٦٤-٦٧ قصة غزلية / ٦٨-٨٥ فخر فروسي في أحداث حرب داحس والغبراء.

٥- عمرو بن كلثوم :

١-٥ خمر / ٦-٨ ظعن / ٩-١٢ غزل / ١٣-١٤ عودة الى الظعن / ١٥-١٧ نسيب/ ١٨-٤٣ فخر قبلي / ٤٤-٤٦ تهديد عمرو بن هند / ٤٧-٦٤ عودة الى الفخر القبلي / ٦٥-٦٦ تهديد بكر / ٦٧-٩٤ عودة الى الفخر القبلي.

٦- الحارث بن حلزة :

١-٨ نسيب وطلل / ٩ رحلة على ناقة / ١٠-١٤ تشبيه الناقة بنعامة / ١٥-٢٠ محاورة الاراقم / ٢١-٣٦ فخر قبلي / ٣٧-٣٩ مديح المنذر / ٤٠-٨٥ حوار بني تغلب وفخر بأيام بكر.

٧- لبيد بن ربيعة :

١-١١ طلل / ١٢-١٥ ظعن / ١٦-٢١ نسيب / ٢٢-٢٥ رحلة على ناقة / ٢٤ تشبيه الناقة بسحابة / ٢٥-٣٥ تشبيه الناقة بحمار معه أتان / ٣٦-٥٤ تشبيه الناقة ببقرة وحشية افترس السبع ولدها وصار عث كلاب الصياد / ٥٥-٧٧ فخر بالفروسية والكرم وشرب الخمر / ٧٨-٨٨ فخر قبلي.

٨- النابغة الذبياني :

(يا دار مية) ١-٦ طلل / ٧-٨ رحلة على ناقة / ٩-١٩ تشبيه الناقة بثور وحشي يصارع الكلاب / ٢٠-٤١ مديح النعمان / ٤١-٤٩ اعتذار للنعمان ومديح له.

(عوجوا فحيوا) ١-٥ طلل / ٦-١١ نسيب / ١٢-١٦ غزل / ١٧-٢٠ عودة الى النسيب / ٢١-٢٤ رحلة على ناقة / ٢٥-٤٣ تشبيه الناقة بثور يصارع الكلاب / ٤٤-٥٧ نصح ذبيان بعجبه ضمن النعمان.

٩- الأعشى :

(ما بكاء الكبير) ١-٤ طلل / ٥-١١ نسيب / ١٢-١٧ غزل / ١٨-٢٧ رحلة على ناقة / ٢٨-٣٢ تشبيه الناقة بحمار وحشي / ٣٣-٣٦ عودة الى الناقة / ٣٧-٧٥ مديح الأسود بن المنذر.

(ودع هريرة) ١-٢١ نسيب وغزل / ٢٢-٣٠ وصف المطر / ٣١-٣٣ رحلة على ناقة/ ٣٤-٤٤ وصف مجالس الخمر / ٤٥-٥٣ هجاء يزيد بن سهر / ٥٤-٦٦ فخر قبلي.

١٠- عبيد بن الأبرص :

١-٦ طلل القبيلة / ٧-١١ وصف الدموع التي ذرفها عند الطلل / ١٢-١٣ عودة الى الطلل / ١٤-٢٧ حكمة في العلاقات الاجتماعية والعقيدية / ٢٨-٣٠ فخر فردي / ٣١-٣٣ رحلة على ناقة / ٣٤ تشبيه الناقة بحمار وحشي/ ٣٥ تشبيه الناقة بثور وحشي / ٣٦-٣٨ رحلة على فرس / ٣٩-٥٠ تشبيه الفرس بعقاب يطارد ثعلبا.

وأول حقيقة تطالعنا في المسرد ان المعلقات كادت تستوفي كل أنماط بنى القصائد المتعددة الموضوعات في الشعر الجاهلي بل انها لتكاد تمثل نسبة ورود موضوعات الافتتاح والرحلة والخواتيم في هذا الشعر أدق تمثيل، فالافتتاح الطللي يمثل النسبة الأعلى في المعلقات : [امرؤ القيس، طرفة، زهير، عنترة، لبيد، النابغة، المعلقتان، الأعشى، ما بكاء الكبير، عبيد. وهو في هذه النصوص طلل حبيبة راحلة الا في معلقة عبيد بن الأبرص التي كان الطلل فيها ديار القبيلة المضطرة الى الرحيل تحت ضغط هجمات كندة، وبكاء طلل القبيلة نمط يتردد بشكل نادر في شعر عدد من الشعراء أشهرهم لبيد بن ربيعة وعبيد نفسه.

واللوحة الطللية قد تطول في القصيدة الجاهلية وقد تختصر اختصارا، وتلك ظاهرة تطرد في المعلقات، فثمة لوحة طللية تستغرق أحد عشر بيتا (لبيد) ولوحة تستغرق ثلاثة عشر بيتا (عبيد)، وثمة لوحة لا تعدو البيتين (طرفة) هذا كله فضلا عن تباين طبيعة معالجة التفاصيل، ففي طلل امرؤ القيس تغلب روح الأسى وإقفار الطلل من الحياة إقفارا يعتصر القلب ويستدر الدمع بينما يزخر طلل زهير بالحياة المنبعثة (من كل مجثم) متمثلة بالعين والآرام واطلائها التي تمثل رموز عودة الحياة وحلول السلام، ولكن معلقة لبيد تستحضر رمزا للحياة المنبعثة في الطلل من نمط آخر وهو المطر الذي يعد بربيع قادم ، ولو شئنا أن نستقصي لوجدنا اللوحات الطللية في المعلقات تكاد تستوفي متغيرات التفاصيل الداخلية للوحة الطللية في الشعر الجاهلي.

فاذا تجاوزنا اللوحة الطللية وجدنا ان المعلقات لم تفتتح جميعا بها فمعلقة عمرو بن كلثوم ذات افتتاح خمري وهو افتتاح ذو حضور نادر في الشعر الجاهلي، وأما الافتتاح بالنسيب أو الغزل فهو اكثر حضورا من الافتتاح الخمري نسبيا والأمر هو نفسه في المعلقات التي تفتتح اثنتان منها بالنسيب. الحارث بن حلزة، والأعشى (ودع هريرة).

وكما تباينت لوحات الافتتاح التي تتصدر المعلقات امتدادا لظاهرة تباينها في الشعر الجاهلي فقد تباين نمط تتابع اللوحات المنبثقة من اللوحة الأولى في إطار الافتتاح نفسه، فاللوحة الطللية تنفتح على غزل أو نسيب امرؤ القيس، عنترة،

النابغة (عوجوا فحيوا)، الأعشى (ما بكاء الكبير)، ولكنها قد تنفتح على ظعن طرفة، زهير، لبيد، أو ترد لوحة الظعن لوحة ثالثة بعد الطلل والغزل أو النسيب، عنترة، أو ترد لوحة الغزل أو النسيب منبثقة من لوحة الظعن التي ترد بعد اللوحة الطللية مباشرة، طرفة، لبيد، ثم لا تخلوا المعلقات بعد ذلك من ختام بعض مقاطع الافتتاح بالحكمة، عبيد، وتلك كلها ظواهر تكاد لا تظفر بما يخرج عنها في افتتاحات الشعراء الجاهليين ومنهم أصحاب المعلقات أنفسهم.

وكما استوفت مرحلة افتتاح المعلقات الأنماط الشائعة في افتتاحات الشعر الجاهلي فأن لوحة الرحلة ومشاهدها الداخلية في المعلقات تكاد تستوفي بنى لوحات الرحلة في الشعر الجاهلي، فالشائع في هذا المورث هو الرحلة على الناقة والنادر فيه هو الرحلة على الفرس، وفي المعلقات تطالعنا الرحلة على الناقة في الأعم الأغلب : طرفة، عنترة، الحارث، لبيد، النابغة، (في المعلقتين)، الأعشى (في المعلقتين)، عبيد، ولكن الرحلة على الفرس تجد لها موضعا في عدد اقل من المعلقات، امرؤ القيس، عبيد، بل إننا لنجد الناقة والفرس يجتمعان معا في معلقة عبيد وتلك ظاهرة لا يخلو منها الشعر الجاهلي.

وكما اتجهت صورة الناقة في لوحات الرحلة الجاهلية لتوليد صورة ثور وحش يخوض صراعا مع كلاب صياد بعد ليلة اضر به بردها وريحها ومطرها، أو صورة حمار وحش يعاني في دفع اتنه الى موارد المياه التي يكمن عليها الصيادون أو صورة ظليم يهرع الى بيضه بعد ان أدركه الليل، فان المعلقات استوفت هذه الصور برمتها فالناقة تتحول ثور وحش في بعضها : النابغة، في القصيدتين، عبيد، وتتحول حمار وحش في بعضها : لبيد، الأعشى (ما بكاء الكبير)، عبيد، وتتحول نعامة أو ظليما في بعضها الآخر : عنترة، الحارث، بل ان معلقة لبيد قدمت الى جانب الصورة التقليد لتشبيه الناقة بحمار وحش صورتين مبتكرتين فكانت الناقة مرة سحابة ومرة بقرة وحشية افترس السبع ولدها ثم خاضت صراعا مع كلاب صياد ومثل هذه الصور مما يندر وروده في الشعر الجاهلي[٢٦]، على ان جمع اكثر من صورة تشبيهية في لوحة الرحلة الواحدة مما يرد في الشعر الجاهلي ويرد في المعلقات أيضا : لبيد وعبيد.

وقد قدمت المعلقات، شأنها شأن الشعر الجاهلي، نصوصا لم تمارس توليد أي صورة تشبيهية من مشهد الناقة في لوحة الرحلة، فكانت الناقة هي الشاغل المتفرد للوحة برمتها طرفة والأعشى (ودع هريرة). كما ان بعض المعلقات أسقطت صورة الناقة لتجعل الرحلة رحلة صيد على الفرس، امرؤ القيس، أو جمعت بين الناقة والفرس، عبيد، ثم كان للوحة الفرس ان تولد صورة عقاب يطارد ثعلبا، عبيد، وتلك ممارسات ترد بالنسبة الضئيلة نفسها في الشعر الجاهلي، كما ان غياب لوحة الرحلة برمتها من القصيدة الجاهلية المتعددة الموضوعات يشكل نسبة تضاهيها نسبة غياب اللوحة من عدد المعلقات التي أسقطتها زهير، عمرو بن كلثوم.

وكما ناظرت المعلقات الشعر الجاهلي في لوحات افتتاحها وتتابعها وحضورها أو غيابها ناظرته في نهاياتها المفتوحة التي لا تلتزم بخاتمة أو ما يشبه الخاتمة الا في القليل النادر حين يختم الشاعر موضوعه بخلاصة تنظيرية تتمثل في أبيات الحكمة. فقد ختم كل من زهير وعبيد معلقتيهما بأبيات في الحكمة ليمثلا هذا الاتجاه النادر في الشعر الجاهلي.

ان تأمل جملة هذه الحقائق ينتهي بنا الى القناعة الراسخة بان عملية اختيار المعلقات وضعت في اعتبارها ان تستوفي نماذج بنى القصيدة الجاهلية المتعددة الموضوعات، فليس يعقل ان يكون هذا التماثل بين المعلقات والموروث من الشعر الجاهلي محض صدفة لا يخفي وراءه قصد تمثيل البيئة الفنية للقصيدة الجاهلية بكل مواصفاتها في هذه القصائد المختارة.

٣- ان المعلقات عالجت أغراضا شعرية تكاد تمثل كل الأغراض الشعرية التي دار حولها الشعر الجاهلي، فمعلقة امرؤ القيس لا تعالج موضوعا واضحا محددا ولكن مقطع ليل المأساة منها يومئ الى انها انبثقت في أجواء الحرب أو الاستعداد للحرب على اثر مقتل والد الشاعر على يد بني أسد وانهيار مملكة كندة[٢٧].

وتعالج سائر المعلقات أغراضا اكثر وضوحا فطرفة يعالج في موضوع معلقته الفخر الفردي والشكوى من اختلال معادلة انتمائه القبلي، ويتجه زهير الى

المديح وحديث السلم والحرب، ويمارس عنترة الفخر الفروسي وصف الحرب بينما تدور معلقة عمرو بن كلثوم في محورها الرئيس حول الفخر القبلي والتهديد الفردي والقبلي، أما الحارث ابن حلزة فيعالج الحوار العقلي الرصين والفخر القبلي والمديح بينما يركز لبيد على الفخر القبلي ويتجه النابغة في (يا دار ميّة) الى المديح والاعتذار وفي (عوجوا فحيوا) الى معالجة شؤون قبيلته ومحاولة إطفاء غضب النعمان بن المنذر عليها ويمارس الأعشى في (ما بكاء الكبير) المديح الفردي وفي الأخرى (ودع هريرة) الهجاء والفخر، ويتجه عبيد بن الأبرص الى الحكمة والفخر الفردي.

ولعل المستقصي للأغراض الشعرية التي مارسها الجاهليون قادر على ان يلمس مدى تمثيل أغراض المعلقات أغراض الشعر الجاهلي، فليس ثمة غرض عالجه الجاهليون لم تعالجه المعلقات، بل ان نسبة ورود كل غرض في المعلقات تكاد تضاهي نسبة ورود الغرض نفسه في الشعر الجاهلي، فالفخر الفردي والقبلي والمديح والهجاء هي الموضوعات المتصدرة ويليها الهجاء فالتهديد فالاعتذار، وقد سبقت الإشارة الى ان ختام موضوع القصيدة بأبيات الحكمة نادر في الشعر الجاهلي كما هو نادر في المعلقات.

٤- ان المعلقات تكاد تستوفي أهم الأحداث التي عاشتها الأمة العربية أو تعاملت مع آثارها فكأن هذه القصائد هي خلاصة تاريخ الأمة وتطلعاتها وعلاقاتها والأحداث التي خاضتها. فمعلقتا امرؤ القيس وعبيد بن الأبرص أثران من آثار حروب كندة وأسد، ومعلقتا عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة أثران من آثار حرب البسوس، ومعلقتا عنترة وزهير بن أبي سلمى أثران من آثار حرب داحس والغبراء، ومعلقة لبيد اثر من آثار حرب الفجار، ومعلقتا النابغة صورة لعلاقة عرب الجزيرة ببلاط الحيرة من خلال علاقة ذبيان بذلك البلاط، ومعلقة طرفة بن العبد صورة لعلاقة الفرد المتأزمة بالقبيلة، ومعلقتا الأعشى صورتان للمديح والهجاء المنبثقين في إطار العلاقات القبلية، ومن خلال هذه المراجعة نستطيع ان ندرك هامشا مهما من هوامش باعث اختيار بعض هذه القصائد دون سواها من دواوين أصحابها، ففي ديوان زهير مثلا قصيدة كافية مطلعها:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا

وزودوك اشتياقا أية سلكوا[٢٨]

تشكل صيغة فنية عالية لا تدانيها صيغة المعلقة على الرغم من براعتها الفنية، وتلك قناعة قررها الأصمعي الذي قال في الكافية [ليس للعرب قصيدة كافية أجود من هذه] ولكن الكافية تعالج موضوعا شخصيا هو تهديد الشاعر بني الصيداء بالهجاء لانتهابهم ابلا وعبدا له، وهو موضوع لا ترقى قيمته الى قيمة موضوع المعلقة التي عالجت مديح السيدين اللذين انهيا حرب داحس والغبراء فكانت صوت السلم في ختام تاريخ تلك الحرب التي دامت أربعين سنة وذلك ما فسح لها موضعها بين المعلقات.

وما يقال في معلقة زهير يقال في معلقة امرؤ القيس التي نزعم ان لاميته التي مطلعها:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي[٢٩]

ورائيته التي مطلعها :

سما لك شوق بعدما كان أقصرا

وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا[٣٠]

أدنى منها الى الاكتمال الفني ولكن موضوعيهما لا يرقيان الى موضوع المعلقة الذي يصور مأساة انهيار مملكة كنده وبداية الصراع بينهما وبين أسد.

وهكذا نرى ان المعيار الموضوعي كان ذا قيمة ربما تتراجع أمامها أحيانا قيمة المعيار الفني، ولكن ذلك لا يطرد في كل المعلقات فمن أصحاب المعلقات من لم ترو له قصيدة ذات شأن فنيا وموضوعيا سوى المعلقة كعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة أما البقية فلم نجد في دواوينهم ما يفوق المعلقة من الناحيتين الفنية والموضوعية على السواء.

٥- ان شعراء المعلقات يكادون يمثلون اشهر القبائل العربية التي كان فيها شعر وشعراء بل انهم يكادون يمثلون انتشار الشعر على خارطة التوزيع القبلي لعرب ما قبل الإسلام.

ولكي تتضح هذه الحقيقة رأينا ان نتابع انساب الشعراء وندرجها في المسرد الآتي[٣٢]:

١- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة ثم الى قحطان.

٢- طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ثم الى ربيعة والى عدنان.

٣- زهير بن أبي سلمى (ربيعة) بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هدمة بن لاطم بن عثمان (أمه مزينة) ثم الى مضر بن عدنان.

٤- عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيفة بن عبس ثم الى مضر بن عدنان.

٥- عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ثم الى ربيعة والى عدنان.

٦- الحارث بن حلزة بن مكروه بن بديد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل ثم الى ربيعة والى عدنان.

٧- لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ثم الى مضر بن عدنان.

٨- النابغة زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن قيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ثم الى مضر بن عدنان.

٩- الأعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ثم الى ربيعة والى مضر بن عدنان.

١٠- عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر بن فهر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد ثم الى مضر بن عدنان.

وتأمل المسرد كفيل بأن يجعلنا نعيد النظر فيما ذهب اليه ابن خلدون من ان تعليق القصائد كان يقتصر على من له عصبية من الشعراء[٣٣] فلو صح رأيه وصحت مسألة التعليق لكان ينبغي ان يحتل شاعر قرشي مثلا أو ثقفي أو تميمي... الخ موضعه بين أصحاب المعلقات فهذه قبائل كان لها عصبيتها التي لا تنكر. الأمر قائم اذن على أساس آخر غير العصبية.

ان انساب الشعراء تقرر ان واحدا منهم قحطاني : امرؤ القيس، والبقية كلهم عدنانيون، ولنا ان نلاحظ ان التوزيع القبلي للعدنانيين يشير الى ان أربعة منهم ربعيون : طرفة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة والأعشى والبقية كلهم مضريون : زهير، عنترة، لبيد، النابغة، عبيد، على ان هذا التوصيف لانساب أصحاب المعلقات لا ينبغي ان يغرينا بتصور وحدة انتمائهم الا في إطار الجذر البعيد. فالربعيون الأربعة أحدهم تغلبي، عمرو بن كلثوم، والبقية بكريون ثم ان هؤلاء البكريين يعودون الى انساب بكرية مختلفة فطرفة والأعشى ضبعيان والحارث يشكري.

أما المضريون فهم من فروع شتى فزهير مزني وعنترة عبسي ولبيد عامري والنابغة ذبياني وعبيد أسدي.

وإعادة النظر في هذه الانتماءات تؤكد ان عملية الاختيار وضعت في اعتبارها ان تتمثل القبائل التي اشتهرت بقول الشعر ان يكون هذا التمثيل مستوعبا للنسبة التقريبية لعدد الشعراء المشهورين في تلك القبائل.

٦- ويقع قريبا من إطار النظر الى انساب الشعراء في الاختيار النظر الى انتشار قبائل هؤلاء الشعراء على المساحة التي كانت القبائل العربية ترتادها وتستوطنها قبل الإسلام فكندة، قبيلة امرؤ القيس، كانت تستوطن نجدا وضبيعة، قبيلة طرفة بن العبد، كانت تستوطن البحرين وبنو مرة الذين كان زهير بن أبي سلمى مقيما فيهم كانوا في الحجاز، وعبس، قبيلة عنترة، كانت تستوطن نجدا وتغلب، قبيلة عمرو بن كلثوم، كانت تستوطن الجزيرة ويشكر قبيلة الحارث بن حلزة كانت تستوطن العراق وعامر، قبيلة لبيد بن ربيعة، كانت تستوطن نجدا وذبيان، قبيلة النابغة، كانت تستوطن الحجاز وضبيعة،

قبيلة الأعشى، كانت تستوطن اليمامة وأسد، قبيلة عبيد بن الأبرص، كانت تستوطن نجدا.

على ان لنا ان نقرر ان المعيار (المكاني) لم يكن مقصودا لذاته خارج معيار الانتماء القبلي فالمعياران متداخلان ولكنهما انتهيا الى هذه الصيغة التي رأينا انها طمحت للانتماء فكان ان استوفت المساحة المكانية التي افترض تغطيتها تنقل القبائل العربية وعدم استقرارها في موطن ثابت بل ان الشعراء أنفسهم ما كانوا يستقرون دائما في قبائلهم فامرؤ القيس لم يستقر في موضع قبل مقتل أبيه وبعده، والنابغة دائب التنقل بين مضارب قبيلته وبلاطي العراق والشام وطرفة موزع بين البحرين والحيرة والأعشى جواب آفاق، ثم لا يخلو سائر الشعراء من نقلة قريبة أو بعيدة تقتضيها ظروفهم الشخصية أو القبلية، ومن هنا كانت مسألة جغرافية المعلقات رهنا بانتماء الشاعر وهمومه الشخصية والقبلية التي توجهه وذلك ما أتاح لعملية اختيار المعلقات فرصة تغطية المساحة الجغرافية التي كان يرتادها الشعر العربي، ممثلا في المعلقات، فيغطي أبعاد الأرض العربية بلا استثناء.

٧- ان شعراء المعلقات يمثلون الامتداد الزماني بين مرحلتي نضج القصيدة العربية وظهور الإسلام، فهم يغطون المساحة الزمانية التي استوعبت الشعر الجاهلي برمته، فحيث يقرر القدماء ان عمر الشعر الجاهلي لا يتجاوز القرنين قبل ظهور الإسلام[٣٤] وحيث يشهد ما بين أيدينا من تراث العصر على صدق هذه الحدود الزمانية فان لنا ان نقرر بلا تحفظ ان أزمان أصحاب المعلقات تكاد تتوزع على امتداد العصر وان كل جيل من الأجيال الثلاثة التي يمكن ان تتعاقب خلاله يتمثل في عدد من الشعراء الذين احتلوا مواضعهم بين أصحاب المعلقات.

وقبل ان نتابع تفاصيل هذا الذي قررناه نرى ان نشير الى ان بعض المعاصرين اعتمد على جملة من الأخبار والروايات وأقام مقابلات مفتعلة ليثبت ان أصحاب المعلقات السبع الذين شرح الزوزني معلقاتهم متعامرون[٣٥] وقدم المسرد الآتي لتواريخ ولاداتهم ووفياتهم ولم يشر الى مصادر تخريج السنوات.

وقال بعد المسرد مباشرة : [وهكذا تبدو لي من هذا الجدول صحة الزعمين اللذين كنت ذكرتهما في مطلع هذا الفصل من ان أصحاب المعلقات جميعا كانوا في فترة ما متعامرين وان هذا اللقاء الزماني بينهم وقع في النصف الأول من القرن السادس الميلادي][٣٦].

اسم الشاعر	مولده	وفاته	عمره	وفاته بالهجري
امرؤ القيس بن حجر	٥٠٢ ٥٠٤	٥٤٦ ٥٤٨	٤٢-٤٦	٧٨-٧٦ ق هـ
طرفة بن العبد	٥٢٩ ٥٣٢	٥٥٥ ٥٥٨	٢٦	٦٩-٦٦ ق هـ
الحارث بن حلزة	٤٧٥ ٤٧٧	٥٧٨ ٥٨٥	١٠١-١٠٥	٤٥-٤٣ ق هـ
عمرو بن كلثوم	٥١٢ ٥١٤	٦١٠ ٦١٢	٩٦-١٠٠	١٢-١٠ ق هـ
عنترة بن شداد	٥٢٠ ٥٢٥	٦١٠ ٦١٥	٨٦-٩٤	١٢-٧ ق هـ
زهير بن أبي سلمى	٥١٠ ٥١٣	٦١٨ ٦٢١	١٠٥-١١١	٤-١ ق هـ
لبيد بن ربيعة	٥١٧ ٥٢٣	٦٦٢	١٤٠-١٤٥	٤١ ب هـ

وقبل ان نخوض في مناقشة مدى دقة هذين الزعمين نرى ان نشير الى ان الشعراء الثلاثة الذين لم يضمهم المسرد لان الزوزني لم يشرح قصائدهم ممن يمكن ان نوافق الباحث على انهم يقعون في الإطار الزماني لشعراء السبعة نفسه، فعبيد بن الأبرص معاصر لامرؤ القيس بدلالة ما دار بينهما من حوار شعري حول معارك كندة وأسد[٣٧] والنابغة معاصر لزهير بن أبي سلمى بدلالة ما ذكره الرواة من ان النابغة استرفد زهيرا حين أكد في قصيدة مدح بها النعمان[٣٨]، أما

الأعشى فمعروف انه ورد على النبي ﷺ بقصيدة مالية يمدحه بها بين السنتين السادسة والثامنة الهجريتين ولكن قريشا عرضت عليه مائة من الإبل على ان يعود عنه سنته تلك فعاد ومات في تلك السنة[٣٩] ومعنى ذلك انه من جيل النابغة وزهير ولبيد.

أما مسرد سنوات ولادات الشعراء السبعة فلسنا نريد ان نخوض في مناقشة الأرقام التي وردت فيه لقناعتنا بان اكثر هذه الأرقام قائم على الافتراض، ولعل اصدق دليل على ذلك ان عددا من الباحثين المعاصرين قدموا أرقاما أخرى بين بعضها تناقض شديد في إطار تحديد سنوات وفيات الشعراء أنفسهم، وسندرج تلك الأرقام المستقاة من تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ وشعراء النصرانية للويس شيخو على ان نستوفي أسماء الشعراء العشرة اللذين رويت لهم معلقات :

اسم الشاعر	وفاته عند جرجي زيدان	وفاته عند عمر فروخ	وفاته عند لويس شيخو
امرؤ القيس	٥٣٩	٥٤٠	٥٦٥
طرفة بن العبد	٥٥٢	٥٦٠	٥٦٤
الحارث بن حلزة	٥٦٠	٥٨٠	٥٨٠
عمرو بن كلثوم	٥٧٠	٥٧٠	ـــــ
عنترة بن شداد	٦١٥	٦١٤	٦١٥
زهير بن أبي سلمى	٦٠٩	٦١٠	ـــــ
لبيد بن ربيعة	٤١ هـ	٣٥-٣٨ هـ	ـــــ
النابغة الذبياني	٦٠٤	٦٠٤	٦٠٤
الأعشى	٦٢٩	٦٢٩	٦٢٩
عبيد بن الأبرص	٥٥٠	٥٤٥	٥٥٥

ووضع هذه الأرقام بازاء الأرقام التي سجلها محمد على حمد الله يوضح مدى التناقض الذي لا يصح معه إقامة أية قناعة بهذا الشأن، وهكذا نرى ان السبيل الدقيق لإصدار حكم بهذا الشأن هو الرجوع أولا الى أقوال القدماء التي اومأوا فيها

الى أزمان الشعراء فأبن سلام يقول :[وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل] ثم يقول : [وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان وسعد بن مالك وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزة والمتلمس والمسيب بن علس ثم تحول الشعر في قيس فمنهم النابغة الذبياني، وهم يعدون زهير بن أبي سلمى من عبد الله بن غطفان وابنه كعب، ولبيد والنابغة الجعدي والحطيئة...] ثم يقول : [كان امرؤ القيس بن حجر بن مهلهل ومخهلهل خاله وطرفة وعبيد وعمرو بن قميئة والمتلمس في عصر واحد][٤٠].

ان هذه النصوص الموثقة تقرر إسقاط القول بأن أصحاب المعلقات (متعاصرون)، بيد أننا لا نريد ان نعتمد عليها وحدها في هذا الشأن، فالسؤال المهم هنا هو هل يصح الاعتماد على سنوات ولادات الشعراء ووفياتهم في عملية تقرير أزمان معلقاتهم حتى في حالة الوصول الى أرقام قريبة من الدقة ؟.

وللإجابة عن هذا السؤال نعرض الحقيقة الآتية : لقد قتل طرفة وهو ابن ست وعشرين سنة فلا بد ان يكون قال معلقته في حدود السنوات العشر الأخيرة من حياته وعند اعتماد ابعد الأرقام المذكورة لوفاته واقربها يكون زمن قول المعلقة بين سنتي ٥٤٢-٥٥٤م على ابعد تقدير، وسنتي ٥٥٢-٥٦٤م على اقرب تقدير. فإذا وضعنا هذه الحقيقة بازاء حقيقة زهير ابن أبي سلمى قال معلقته بعد انتهاء حرب داحس والغبراء ليمدح السيدين اللذين انهياها وان هذه الحرب انتهت سنة مبعث النبي ﷺ يكون زمن قول المعلقة هو سنة ٦١٠م أو في السنوات الثماني أو الإحدى عشرة التي عاشها زهير بعد هذا التاريخ فأية قيمة بعد ذلك للقول بأن زهير وطرفة كانا متعاصرين في مرحلة ما من عمر كل منهما ؟.

ان المعلقات نفسها هي التي ينبغي الاعتماد عليها في تقرير الخارطة الزمانية لعصر المعلقات، فمعلقتا امرؤ القيس وعبيد بن الأبرص نتاج جيل الريادة ثم تتوالى بعدهما معلقات طرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة بن شداد لتمثل نتاج الجيل الثاني، أما الجيل الأخير فتمثله معلقات زهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة والنابغة والأعشى مع قناعتنا بالتفاوت النسبي بين أزمان المعلقات ضمن مجموعة معلقات الجيل التي تنتمي اليها.

ان الخارطة الزمانية للمعلقات تضاهي خارطتها القبلية والجغرافية في ظاهرة الشمول فهي تغطي المساحة الزمانية للعصر وتتمثل فيها أجيال الشعراء الذين توالوا فيه.

وبعد... فأن لنا بعد هذا الذي استقريناه من نصوص المعلقات وبناها وموضوعاتها وأسماء أصحابها وانتماءاتهم القبلية وتوزيعهم المكاني والزماني ان نحدد أبعاد الحقيقة الأساسية التي انتهت اليها الحقائق التفصيلية التي توصلنا اليها وهي ان المعلقات حصيلة اختيار طمح الى ان تتمثل فيه هوية كل الشعر الجاهلي والشعراء الجاهليين، وهي حقيقة اوماً اليها القدماء في أحاديثهم عن المعلقات حين قالوا ان العرب (تخيرتها) أو انها (اختيرت من سائر الشعر) أو انها (المشهورات) التي تغني عن الشعر الذي (زهد فيه الناس) فتلك إشارات تخفي وراءها دلالة نيابة هذه القصائد عن الشعر الجاهلي برمته، ولان هذه (النيابة) لم تتخصص بميزة في النص دون ميزة ولا بصفة في الشاعر دون صفة فقد كان لمتغيرات ميزات البنية الفنية والموضوعية في النصوص ومتغيرات صفات الانتماء والتوزيع القبلي والمكاني والزماني ان تتظافر برمتها فيتقدم بعضها هنا ويتقدم بعضها هناك لتحقيق جملة المواصفات التي أشرنا اليها حتى يغدو من حق الاستقراء العلمي ان يقرر ان المعلقات ليست افضل الشعر الجاهلي في كل خصيصة من الخصائص التي ذكرناها وان أصحابها ليسوا اقدر الشعراء في كل الصفات التي ذكرناها ولكنها افضل الشعر الجاهلي وأصحابها افضل الشعراء الجاهليين في إطار مجموع الخصائص والصفات وتلك هي الحقيقة التي تبلورت في قناعة البحث من خلال التأمل، وهي حقيقة جديرة بأن تكون منطلقا لدراسة تفصيلية تتجاوز المنطلقات التقليدية التي قام عليها عدد غير قليل من الدراسات السابقة في هذا الميدان.

الهوامش والمصادر

(١) ينظر تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان مصر ١٩٥٧ م. /١٠٥-١٠٧، تاريخ الأدب العربي، الزيات مصر ط١٠، ص ٣١-٣٢، تاريخ آداب العرب، الرافعي، مصر ١٩٥٤م ٣/ ص ١٨٧-١٩٣، مبحث (معلقات غير معلقات) من كتاب الحياة العربية من الشعر الجاهلي د. محمد احمد الحوفي بيروت ١٩٦٢م، مقدمة محمد علي حمد الله لشرح المعلقات السبع للزوزني دمشق ١٩٦٣م، ص ٣٢-٥٦ ومقدمة احمد خطاب العمر لشرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس بغداد ١٩٧٢م ص ٤٥-٦٧ ومقدمة عبد السلام هارون لشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري مصر ١٩٨٠م، ص ١١-١٤، ومقدمة فخر الدين قباوة لشرح القصائد العشر للتبريزي بيروت ١٩٨٠م، ص ٥-٧، معلقات العرب. د.بدوي طبانة، الرياض ١٩٨٤، ص ١٥-٥٣، البناء الفني للمعلقات، عبد الحق الهواس، رسالة دكتواره الجامعة المستنصرية بغداد ١٩٩٣م، ص ٤-٢٦.

(٢) أورد الرافعي في تاريخ آداب العرب، ١٨٧/٣ نصا يقرر ذلك ولم أفز بالنص فيما أتيح لي من مصادر.

(٣) ينظر العقد الفريد تحقيق محمد سعيد العريان بيروت ١٩٥٣م، ١٠٣/٦.

(٤) العمدة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بيروت ١٩٧٢م، ٩٦/١.

(٥) المقدمة، بيروت ط ٤، ٥٨١.

(٦) خزانة الأدب، طبعة بولاق ٦١/١.

(٧) شرح شواهد المغني، تحقيق احمد ظافر خان، مصر ١٩٦٦م، ١٢١/١.

(٨) شرح القصائد التسع المشهورات تحقيق احمد خطاب العمر بغداد ١٩٧٣م، ٦٨٢/٢.

(٩) نزهة الالباء في طبقات الأدباء، تحقيق د. ابراهيم السامرائي، الأردن ١٩٨٥م، ٣٩.

(١٠) معجم الأدباء، تحقيق مرجليوث، مصر ١٩٢٧م ١٤٠/٤.

(١١) خزانة الأدب ١٢٧/١.

(١٢) م. ن ١٢٧/١.

(١٣) شرح القصائد التسع المشهورات ٦٨٢/٢ ونقل ابن رشيق النص بتصرف مخل في العمدة ٩٦/١، واجتهد عبد الحق الهواس فاقترح ان يكون اصل كلمة (الملك) (عبد الملك) أي ابن مروان، البناء الفني للمعلقات ٢١، ولا وجه عندي للنص والاجتهاد معا، فأي ملك وأي عبد الملك كان بعكاظ في الجاهلية؟

(١٤) جمع التسميات وأشار الى مصادرها محمد علي حمد الله في مقدمته لشرح المعلقات السبع ٤٤. وينظر جهد مماثل في مقدمة شرح القصائد التسع المشهورات ٤٥-٤٧ والبناء الفني للمعلقات ٥٧.

(١٥) تنظر مقدمة شرح المعلقات السبع ٥٢-٥٥.

(١٦) المقدمة ٥٨١.

(١٧) مقدمة شرح المعلقات السبع ٥٧-٦٠.

(١٨) ما بقي من شرح قصيدتي امرؤ القيس وطرفة لابن كيسان تحقيق د. محمد حسين آل ياسين (بحث) العدد ٣٥ من مجلة كلية الآداب بغداد ١٩٨٨م، ٢٠٦-٢١١.

(١٩) شرح القصائد التسع المشهورات ٦٨١/٢.

(٢٠) شرح القصائد العشر ١٧.

(٢١) الأحكام مستخرجة من كتابه فحوله الشعراء تحقيق ثوري تقديم صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٧١م.

(٢٢) الأحكام من كتاب مفقود له في طبقات الشعراء جمع بعض مادته الدكتور ناصر حلاوي في كتابه أبو عبيدة ناقدا ولغويا ص ٢٠٠.

(٢٣) الأحكام مستخرجه من كتابه طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر مصر ١٩٧٤ م.

(٢٤) وردت معلقة النابغة (عوجوا فحيوا) في ديوانه على هيأة نصين، فمقدمتها حتى غرضها الرئيس في موضع ص ٢٠٢-٢٠٤ وغرضها الرئيس في موضع آخر ص ٧٥-٧٨.

(٢٥) لم نشأ ان نعتمد على شروح المعلقات لكي لا نواجه مسألة الخلاف بين روايات الشروح على إننا سنعتمد على شرح ابن الانباري - وهو اقدم ما بين أيدينا من شروح - في تأمل معلقة عمرو بن كلثوم الذي لم يورد محقق ديوانه معلقته في استغناء بورودها في شروح المعلقات.

(٢٦) شبه زهير ناقته ببقرة وحشية افترس السبع ولدها وخاضت صراعا مع كلاب الصياد في قصيدتين له سوى المعلقة، ينظر ديوانه ٢٢٥، ٢٧٣.

(٢٧) ينظر تحليل المعلقة في كتاب (نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام) بغداد ١٩٩٠م.

(٢٨) ديوانه ١٦٤.

(٢٩) ينظر تقدين القصيدة في الديوان.

(٣٠) ديوانه ٢٧.

(٣١) م. ن ٥٦.

(٣٢) استقينا الأنساب من شروح المعلقات ودواوين الشعراء وبينها خلاف شديد أحيانا في أسماء بعض الآباء تجاوزناه لان الذي يعنينا هنا هو الانتماء القبلي الذي لا خلاف عليه.

(٣٣) ينظر المقدمة ٥٨١.

(٣٤) قال ابن سلام : لم يكن لأوائل العرب من الشعر الا الأبيات يقولها الرجل في حاجته وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف. طبقات فحول الشعراء ٣٦/١. وقال الجاحظ : والشعر صغير السن حديث الميلاد، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له ان جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام فاذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام. الحيوان تحقيق عبد السلام هرون مصر ١٩٤٥م ٧٤/١.

(٣٥) مقدمة محمد علي حمد الله لشرح المعلقات السبع للزوزني، ص ٢١-٣٢.

(٣٦) م. ن ٣١.

(٣٧) ينظر ديوان امرؤ القيس ٤٦١ وديوان عبيد بن الأبرص، ص ٥٢، ٦٣، ٧٢، ١٢١، ١٣٦.

(٣٨) ينظر العمدة ٢/٢٨٦.

(٣٩) ينظر الأغاني - دار الكتب - ٩/١٢٥ والقصيدة في ديوانه ١٣٥ وفيه ذكر ان ذلك بين السنتين السادسة والثامنة الهجريتين.

(٤٠) طبقات فحول الشعراء ١/٣٩-٤١.